**المحاضرة رقم 03**

1. **نشأة الأنثروبولوجيا:**

قسم توماس بنيمان **T**. **penniman** (وهو انجليزي) تاريخ الأنثروبولوجيا إلى خمس مراحل وفترات رئيسية إذ يعتبر بنيمان الأنثروبولوجيا قبل عام **1835**تقريبا قد مرت بمراحل تمهيدية منذ العصور القديمة، فالأنثروبولوجيا لم تبرز كفرع جديد للمعرفة في نظره إلا من خلال الفترة من عام **1835**حته **1859**، أما خلال الفترة **1859** إلى **1900** أي إبان نصف قرن تقريبا -عله حد تقسيمه- فقد تأسست الأنثروبولوجيا كعلم أكاديمي، تلي ذلك المرحلة ال ا ربعة مع أوائل القرن العشرين واستمرت حته منتصف الثلاثينات (**1935**) وفيها مرت الأنثروبولوجيا بمرحلة التأصيل، أما المرحلة الخامسة التي بدأت منذ عام **1935**حته نهاية الخمسينات تقريبا فهي ولا شك مرحلة التدعيم والتثبيت لعلم الأنثروبولوجيا وتخصصاته المتعددة، كما قسمت الأنثروبولوجيا وفق نشأتها وتاريخ تطورها إلى ثلاث مراحل حسب العصور التي وجدت فيها اللبنات الأولى لمفهوم الانثروبولوجيا عله النحو التالي: الأنثروبولوجيا في العصر القديم؛ الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى؛ الأنثروبولوجيا في عصر النهضة[[1]](#footnote-1).

* 1. **الأنثروبولوجيا في العصر القديم:**

يجمع معظم علماء الاجتماع والأنثربولوجيا، عله أن الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام **1493** قبل الميلاد إلى بلاد بونت (الصومال حالياً) بهدف التبادل التجاري، تعد من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب. وقد كانت الرحلة مؤلّفة من خمسة مراكب، عله متن كلّ منها **31** راكباً، وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة التي شملت البخور والعطور .ونتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام أفريقيا. وتأكيداً لإقامة علاقات معهم فيما بعد، فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري، استقبال ملك وملكة بلاد بونت لمبعوث مصري[[2]](#footnote-2).

* + 1. **عند الإغريق (اليونانيين القدماء**)**:**

يعد المؤرخ الإغريقي (اليوناني) هيرودوتس **Herodotus** الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان رحالة محبا للأسفار، اول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة لك ولذ وجود تنوع وفوارق فيما بينها، من حيث النواحي (السلالية والثقافية واللغوية والدينية، يعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ، فهو أول قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عند عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية (حوالي خميس شعبا)، حيث تناول بالتفصيل تقاليد هم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية[[3]](#footnote-3).

كما تناول أفلاطون ( **347**-**428**ق.م) دراسة السلالات البشرية وتقسيم المجتمع إلى طبقات، طبقة الفلاسفة وطبقة الجند وطبقة العبيد، كما تحدث عما يجب أن يكون عليه مجتمع أثينا في كتابه "الجمهورية"،**1**وبالرغم من الطابع الفلسفي لكتابات أفلاطون والتي تناقض ما تتجه إليه الدراسات الأنثروبولوجية السوسيولوجية من دراسة ما هو قائم، لا ما يجب أن تكون عليه الأمور، فإن فضل الفكر الفلسفي اليوناني خاصة عند كبار فلاسفتهم، لا يمكن التقليل من شأنه أبدا وذلك لأن فلاسفة اليونان أخذوا من الحضارات القديمة وامتزجت فلسفتهم بها مثل الحضارة المصرية[[4]](#footnote-4).

لقد انغمس أرسطو بدوره في التأملات الفلسفية عن طبيعية الجنس البشري، وفي الأنثروبولوجيا الفلسفية الخاصة به يناقش الاختلافات بين البشر والحيوانات عله وجه العموم ويستنتج أنه رغم وجود حاجات مشتركة بينهم وبين الحيوانات، فالإنسان وحده هو الذي يحظى بالعقل والحكمة والأخلاق، لقد دفع بأن البشر في الأساس اجتماعيون بطبيعتهم[[5]](#footnote-5).

* + 1. **عند الرومان:**

امتد عصر الإمبراطورية الرومانية حوالي ستة قرون، تابع خلالها الرومان ما طرحه ليونانيون من مسائل وأفكار لكنهم وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس، ومع ذلك لا يجد لأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصلية في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافاتهم أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات[[6]](#footnote-6).

ونستثني في ذلك أشعار كاروس لوكرتيوس(**Lecretuis**) **55**-**98**) ق.م( التي احتوت عله بعض الأفكار الاجتماعية إلىامة كفكرة التطور والتقدم، حيث تحدث عن الإنسان الأول والعقد الاجتماعي، ونشأة اللغة ونظامي الملكية والحكومة إلى جانب مناقشته للعادات بعض ويرى والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقه، الأنثروبولوجيون أن لوكرتيوس استطاع ان يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية ثم حديدية[[7]](#footnote-7).

وعله الرغم من أن الرومان اهتموا بالواقع، من حيث ربط السلالات البشرية بإمكانية التقدم الاجتماعي والحركة الحضارية، فقد وجدوا في أنفسهم امتيازاً وأفضلية عله الشعوب الأخرى. فكان الروماني فوق غيرى بحكم القانون، حته أن الرومان إذا أرادوا أن يرفعوا من قدر إنسان أو شأن سلالة.

كان الاتجاه السائد هو العنصري في الحضارات، حيث كانت هذه الحضارات القديمة تتميز بالتعالي عن غيرها فكانوا يعتقدون انهم فوق غيرهم...

* + 1. **عند الصينيين القدماء:**

يرى بعض المؤرخين أن الصينيون لم يعبؤوا في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، وهذا لأية وجود نابع من نظرتهم العنصرية، إذ كانوا يعتقدون كالرومان انهم أفضل الخلق، وأنه لا حضارة أو فضيلة خارج جنسهم.. بل كانوا يرون انهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء ...

ولكي يؤكد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا " سور الصين العظيم" حته لا تدنس ارضهم بأقدام الآخرين ولذلك اهتم فلاسفة الصين القدماء بالأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات (الواقعية/العملية) في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها، لأن معرفة الانماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي في أي مجتمع، تسهم في تقديم الدليل الواضح عله التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما بينهم من جهة، ويحدد أفضل الطرائق للتعامل معهم من جهة أخرى، وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، ولا سيما تلك التي تعني بالإنسان[[8]](#footnote-8).

* 1. **الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى**
     1. **في أوروبا**:

مع نهاية القرن الخامس الميلادي تقريبا بدأت السلطة المركزية لروما في ا والانهيار ودخلت أروبا في مرحلة من ارتداء الفكر وسميت هذه الحقبة بالعصور الوسطى لأنها وقعت بين عهدين (الفلسفات الأوروبية القديمة في أثينا أو روما وعصر النهضة)، في هذه الفترة انتشرا الإرهاب الديني المسيحي. في هذه العصور الوسطى تدهور التفكير العقلاني وأدينت أية أفكار تخالف التعاليم المسيحية أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون وسيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة عله اتجاهات التفكير الاجتماعي، وتجدر الإشارة عله أنه إلى جانب الكنيسة وما ارتبط بها من مؤسسات دينية كالأديرة وغيرها، كانت هناك مراكز أخرى وجهت أيضا منطلقات المعرفة وحددت طبيعتها خلال العصور الوسطى للحضارة الغربية كبلاط الملوك الذي كان يضم في العادة فئات من المثقفين كرجال الإدارة والسياسة والشعراء[[9]](#footnote-9).

ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب اتسمت - غالبا- بالوصف التخيلي بعيدة عن المشاهدة المباشرة عله أرض الواقع مثال ذلك ما قام به الأسقف إزيدور (**560**-**636**) **Isidore** حيث أعد في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية تتسم بالسطحية والتحيز فقد ذكر مثلا أن قرب الشعوب او بعدها عن أروبا يحدد درجة تقدمها فكلما كانت المسافة بعيدة، كلما كان الانحطاط والتدهور الحضاري مؤكدا، ليس هذا فحسب بل إنه وصف أولئك الناس الذين يعيشون في أماكن نائية، بأنهم سلالات غريبة الخلقة حيث تبدو وجوههم بلا أنوف، وقد ظلت تلك المعلومات سائدة وشائعة حته القرن الثالث عشر حين ظهرت موسوعة أخرى أعدها الفرنسي باتو لو مكوس **Batolomacu** والتي خطيت بشعبية كبيرة رغم أنها لم تختلف كثيرا عن سابقتها من حيث الاعتماد عله الخيال **1**عله العموم فإن معظم التفسيرات التي قدمت في هذه الفترة كانت قائمة عله التحيز العنصري والديني وسادت نظرية " الارتداد او الانتكاس الحضاري **Cultural** **Dégradation** فالشعوب المسيحية الممتثلة الأمور الدين هي ارقه الشعوب أما بعض السلالات وخصوصا غير الغربية، فقد تدهورت من الحالة المثلى إلى الحالة الأدنى بسبب ما قاموا به من أفعال شريرة، وما يمارسونه من طقوس ومعتقدات شاذة وغريبة[[10]](#footnote-10).

* + 1. **العرب والمسلمون:**

بدأت بوادر الحضارة العربية الإسلامية في الانتشار والازدهار خصوصا بعد الفتوحات الإسلامية فقد تم فتح عدة أقاليم من إسبانيا حته الهند، وتضمنت هذه الحضارة: الآداب والفلسفة والأخلاق والمنطق... وغيرها.

ومن أجل تنظيم نظام الحكم في البلاد المفتوحة كان من الاهتمام بأحوال الناس فبرز العرب في وضع المعاجم الجغرافية وإعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الرابع عشر الميلادي واعتمدت مواد هذه الموسوعات عله المشاهدة والخبرة الشخصية وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

ومن بين العلماء البارزين في هذه الفترة نذكر:

* **البيروني (362- 440ه**) وضع كتابا عن الهند بعنوان " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" وصف فيها المجتمع الهندي وصفا دقيقا (اجتماعيا وثقافيا...).
* **الرحالة ابن بطوطة**: من خلال كتاباته ذات الطابع الأنثروبولوجي، والتي برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكياتهم وقيمهم وتقاليدهم.
* **المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون (1406 -1332**) كتب ابن خلدون تاريخا ضخما عن العرب والبربر، مزودا بمقدمة ضخمة نقدية طويلة حول استخدامه للمصادر فقد أنشأ أوله النظريات الاجتماعية، وسبق أفكار **اميل دور كايم** عن التماسك الاجتماعي.

ويؤكد ابن خلدون أهمية القرابة والدين في خلق شعور من التلاحم والالتزام المتبادل بين أعضاء جماعة ما. يتحدث ابن خلدون عن نشأة المجتمع الإنساني وتطوره ولا يستمر هذا المجتمع - حسب ابن خلدون - إلا بوجود سلطة قائمة خاصيتها الأساسية القهر بما تفرضه من نظم وقوانين وسلوك عام تخضع له الجماعة ككل، وبدون السلطات فهي حالة الفوضه المؤدية إلى الحرب، والسلطان القاهر المنظم للمجتمع يستند بدوره إلى العصبية التي هي بمثابة مفهوم مركزي في التحليل الخلدونية لنشأة المجتمعات وتطورها واندثارها من المجتمعات العربية التي عاشها حالة واقعية لدراسته[[11]](#footnote-11).

1. - عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان"الأنثروبولوجيا"**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، 2004، ص19. [↑](#footnote-ref-1)
2. - Mauduit , J.A , **Manuel D’ Ethnographie**. Payot, Paris . 1960, p 18 . [↑](#footnote-ref-2)
3. - عيسى الشماس، **مرجع سابق**، ص12. [↑](#footnote-ref-3)
4. - حسين فهيم، **قصة الأنثروبولوجيا**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.ص 38. [↑](#footnote-ref-4)
5. - توماس هيلاند اريكسن، **مفترق طرق الثقافات : مقالات عن الكريولية**، ترجمة محيي الدين عبد الغني، لمركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2012.ص 16. [↑](#footnote-ref-5)
6. - عيسى الشماس، **مرجع سابق،** ص 21. [↑](#footnote-ref-6)
7. - حسين فهيم ، **مرجع سابق،** ص 39. [↑](#footnote-ref-7)
8. - عيسى الشماس ، **مرجع سابق،** ص 22. [↑](#footnote-ref-8)
9. - حسين فهيم ، **مرجع سابق،** ص 42. [↑](#footnote-ref-9)
10. - حسين فهيم ، **مرجع سابق،** ص 43. [↑](#footnote-ref-10)
11. - مصباح عامر، **المدخل إلى علم الانثروبولوجيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2010**،** ص 31، 32. [↑](#footnote-ref-11)